الأسطول والقوة البحرية في سلطنة عُمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر

م.د.فاضل محمد*

الخلاصة:

تطور الاسطول والقوة البحرية في عُمان كثيراً خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر اذ عُد من اكبر الاساطيل في الخليج العربي والمحيط الهندي، وكان السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٤-١٨٥٦م) له الاثر الاكبر لما وصلت اليه القوة البحرية العمانية من قوة وتعاظم، وذلك بسبب شغفه كركوب البحر وتطلعه لضم العديد من المناطق الى دولته عمان فضلاً عن شجاعته في مواجهة الاعداء والمتمردين على سطته.

كما حصل تطور نوعي كبير للاسطول العماني والقوة البحرية ايام السلطان سعيد عندما رفدت احواض بناء السفن المعروفة يتميزها بصناعة السفن في كل من عمان والهند، رفدت الاسطول العماني بأنواع متقدمة من السفن الحربية الكبيرة فضلاً عن شراء السفن الاوربية وجلب الخبراء الاوربيين لمتابعة صناعة السفن العمانية في كل من احواض الهند وعمان والتي كانت تنتج سفناً كبيرة ذات مواصفات اوربية الامر الذي جعل الاسطول والقوة البحرية العمانية ترتقي الى مستوى المهام والواجبات المعدة لها كالفتح ومواجهة الاعداء أو للتجراة وحماية العلاقات التجارية العمانية او لاسترداد المناطق المستحوذ عليها من قبل المتمردين على الدولة العمانية وقتئذ.

بلغت القوة البحرية العمانية اوجه قوتها في عهد السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٤م-١٨٥٦م)، أذ كان الأسطول العماني الحربي والتجاري خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر يعد ثاني اكبر أسطول في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي فهو يأتي بالمرتبة الثانية بعد الأسطول البريطاني.

أن التطور الكبير الذي طرأ على الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال تلك المدة يعود إلى أسباب شتى من أهمها:- حرص واهتمامه السلطان سعيد شخصياً ببناء الأسطول البحري العماني، إذ أمر ببناء العديد من السفن الحربية في أحواض السفن في الهند[١]، كما إن منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي في عهد السلطان سعيد قد شهدت حالات من التنافر والصراع والحرب والقرصنة ساهمت في خلقها القوى المحلية والدولية الأمر الذي حمل السلطان سعيد على تشكيل أسطول كبير وقوة بحرية مرهوبة الجانب في عموم المنطقة فضلاً عن حمايته للتجارة العمانية والعلاقات التجارية لعمان[٢]، فضلا عن التطلع والطموح الكبير للسلطان سعيد في فتح بعض المناطق وضمها لدولته عمان مثلما حدث ذلك مع شرق أفريقيا ومناطق أخرى، و كان السلطان سعيد كثير التطلع والطموح خارج عمان، اذ امتد طموحه للسيطرة على مناطق شاسعة تبدأ من الخليج وجنوب إيران وبلوشستان إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ومدغشقر وذلك كله تطلب إعداد أسطول قوي وقوة بحرية متقدمة [٣].

كما لايفوتنا في هذا الصدد الأسباب النفسية والعوامل المعنوية التي كانت تدفع بالسلطان سعيد إلى بناء أسطوله وقوته البحرية حيث بها اشتهر بأنه "السيد البحار"، إذ كان السلطان سعيد كثير السفر في البحرفقد كان يقطع مسافات طويلة وهو على متن السفينة، وكان يشعر بالغبطة والسعادة حين يقود بنفسه سفينته الخاصة (شاه علم) [٤]، وكان يملك شخصياً حوالي عشرين سفينة

* جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات.

يستخدمها في تجارته الخاصة الأمر الذي دفعه إلى الاهتمام بالأسطول والقوة البحرية خلال الحكم في عمان.

الواقع، أن عمان لم تول الاهتمام اللازم بأسطولها وقوتها البحرية أبان عهد السلطان سعيد فحسب، وإنما كانت منذ القدم وعبر مراحلها التاريخية قد عبرت عن اهتمامها الفائق بالقوة البحرية لحماية أسطولها التجاري، إذ كان الأسطول التجاري والحربي العماني من أكثر الأساطيل قوة وعدداً لقرون عدة في غرب المحيط الهندي[٥]، لكي يتمكن من حماية التجارة والعلاقات التجارية العمانية كما يتمكن من أن يقوم بالدفاع عن سيادة عمان في الداخل ومجابهة أعدائها في الخارج، ادى الأسطول العماني منذ القدم دورا كبيرا في الدفاع عن سيادة واستقلال عمان كما لعب الدور ذاته خلال العصور الإسلامية المختلفة ولغاية العصر الحديث الذي تلقى فيه الأسطول العماني ضربة قوية من قبل الأسطول البرتغالي في خور جراما عام ١٥٠٧م مما أدى إلى إغراقه، لكن العمانيين لم يستسلموا لتلك الضربة القوية فقد نهضوا من جديد وتصدوا للهجمة البرتغالية الشرسة منذ عام ١٦٢٤م وتمكنوا من مهاجمة الأسطول البرتغالي في مسقط بعد أن تلافوا نقاط الضعف في أسطولهم وضاعفوا من أعداد قطعه وحجم السفن، وحين استلمت الأسرة اليعربية مقاليد الحكم في عمان عقب انهيار الأسرة النبهانية، أدرك الحكام الجدد لعمان أن قوة عمان ومنعتها تكمن في قوتها الحربية البحرية، وعلى ضوء ذلك سعى الإمام سيف بن سلطان اليعربي إلى إعداد أسطول بحري قوي تمكن به من التصدي للأسطول البرتغالي، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من تاريخ البحرية العمانية عقب تحرير العاصمة مسقط، كما بدأت مرحلة جديدة من النفوذ العماني في الخليج العربي امتدت لمدة قرنين من الزمن تقريباً.

مما تقدم، كان حافزاً أخر للسلطان سعيد في بناء أسطوله وقوته البحرية، إذ إن الأرث التاريخي الكبير لدولته عمان في ميدان الأسطول والقوة البحرية لا يجعله يتقاعس عن بذل قصارى الجهد في سبيل استعادة مجد الأسطول العماني الحربي والتجاري بل على العكس كان يدفعه للتميز في ذلك المضمار عن العهود التي سبقته، وذلك ما حصل بالفعل إذ لم يألُ السلطان سعيد جهداً في بناء ترسانته البحرية العسكرية والتي حقق بواسطتها حلمه الكبير في التربع على عرش دولة كبيرة وقوية نعتها المؤرخون بالإمبراطورية لكونها كانت مترامية الأطراف ومن ابرز مقوماتها الاقتصاد المتين والقوة البحرية الرادعة.

ان تشكيلات ومهام الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر يمكن ايجازها في المحورين الاتيين:-

اولاً:- تشكيلات الأسطول والقوة البحرية

قبل التطرق إلى تشكيلات الأسطول العماني والقوة البحرية العمانية في عهد السلطان سعيد، يستحسن اعطاء نبذة مختصرة عن تاريخ الأسطول والقوة البحرية العمانية منذ القدم ولغاية مطلع القرن التاسع عشر للميلاد.

تفيد الوثائق والمصادر التاريخية القديمة بأن عمان كان لها باع طويل في ميدان الأسطول والقوة البحرية، إذ إن تشكيلات الأسطول العماني قد بلغت أكثر من ثلاثمائة سفينة للعمليات الحربية أيام الإمام المهنا بن جيفر اليحمدي الخروصي[٦]، كما بلغ تعداد سفن الأسطول العماني أيام الإمام الصلت بن مالك الخروصي ، أكثر من ثلاثمائة بارجة حربية مسلحة حين هاجم الأحباش جزيرة "سقطري" التي كانت تابعة لعمان[٧]. وقد استمر الأسطول العماني بالتفوق والقوة حتى ظهور السفن الأوربية في المياه العربية فبدأ التحدي الكبير والخطير لأول مرة، وقد تمثل أول تحدٍ أوربي بحري بظهور الأسطول البرتغالي المتفوق من حيث العدة والتسليح في عهد الإمام محمد بن إسماعيل عام ١٥٠٠ ، وقد تمكن الأسطول البرتغالي بقيادة الفونسوا البوكيرك إحالة المنطقة الممتدة بين رأس الحد ورأس مسندم إلى حطام[٨].

تمكن الأسطول العماني - فيما بعد- من مواجهة الأعداء بكل اقتدار، ومع مجئ اليعاربة إلى سدة الحكم في عمان عقب انهيار الأسرة النبهانية، بذل الحكام اليعاربة قصارى الجهود من اجل إعداد أسطول بحري وقوة بحرية كبيرة تمكنت من التصدي للأساطيل المعادية في المنطقة، فأقدم العمانيون أبان عهد اليعاربة على التخلي عن التشكيلات القديمة لأسطولهم واستبدالها بتشكيلات حديثة، إذ أصبح الأسطول العماني يتشكل من سفن حربية حديثة مزودة بعدد كبير من المدافع، كما استخدموا في أسطولهم السفن الحربية كبيرة الحجم ذات الطراز الأوربي المزودة بالمدافع الحديثة وقد تم بناء اغلبها في الهند[٩]. ومن الجدير بالذكر ان القوة البحرية العمانية قد استطاعت في تطور لاحق من أن تهزم الهولنديين الذين قدموا للمنطقة عقب انهيار القوة البرتغالية فألحقوا بهم خسائر فادحة، كما انتهز العمانيون فرصة انشغال الاوربيين وصراعهم فيما بينهم من اجل توطيد النفوذ في الهند، فأقدموا على توطيد مراكزهم في شواطئ أفريقيا الشرقية وجزر المحيط الهندي وإقامة علاقات تجارية واسعة مع اغلب دول المنطقة. تمكنت القوة البحرية العمانية مطلع القرن الثامن عشر من أن تنجز أعظم أسطول بحري لدولة غير أوربية في المحيط الهندي وان تمتد سيطرتها على طول الشاطئ الإفريقي حيث بسط الأسطول العماني سيطرته على سواحل مقديشو وممباسا وزنجبار وبمبا والخليج العربي وبحر العرب ومشارف وادي الأندلس وسواحل الهند الغربية[١٠].

وعلى الرغم من إشارة الوثائق إلى ضخامة الأسطول العماني أوائل القرن الثامن عشر[١١]، وقوته العسكرية ومكانته في المنطقة وبسط سيطرته على مناطق شاسعة في المحيط الهندي والخليج العربي، إلا إنه لايمكن الوصول بشكل دقيق الى تعداد سفنه، وفي ذلك يقول مايلز: " على الرغم من ضخامة الاسطول العماني إلا إننا لا نعرف تعداد سفنه وكل ما نعرفه إن قسماً منه قد بني على الطراز الأوربي والأخر على الطراز الشرقي، ولكن لا جدال فيه كان تسليحه ممتازاً[١٢].

أما تشكيلات الأسطول والقوة البحرية في عهد دولة البو سعيد التي أعقبت دولة اليعاربة حين تولى مؤسسها احمد بن سعيد الحكم في عمان عام ١٧٤٩م، فقد تطور الاسطول العماني كثيراً في عهده وقد استخدمه في نجدة أهالي البصرة ومطاردة القراصنة على سواحل مالابار و تحول الأسطول والقوة البحرية في عهده إلى قوة يحسب حسابها في المحيط الهندي.

أما الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالتحديد أيام السلطان سعيد الذي هو صلب موضوع بحثنا فقد تطور الأسطول العماني والقوة البحرية العمانية في عهده كثيراً حيث بلغت قوة عمان البحرية مداها انذاك.

لقد أولى السلطان سعيد اهتماماً فائقاً ببناء الأسطول الحربي فكانت موانئ عمان خلال عهده مثل_ مسقط ومطرح وصور وشناص_ تضم أهم أحواض بناء السفن من الأخشاب المستوردة من الهند فضلاً عن الأخشاب العمانية، وقد أمر السلطان سعيد شخصياً ببناء العديد من السفن الحربية في أحواض السفن الهندية والخاصة في بومباي، ولعل من ابرز أنواع سفن الأسطول العماني والقوة البحرية أبان عهد السلطان سعيد هي كالأتي[١٣]:-

١- شاه علم :- اسم فرقاطة فيها ست وخمسون مدفعاً وحمولتها تبلغ الف ومائة واحدى عشر طناً.
٢- كارولين:- نوع اخر من فرقاطة تحمل على متنها أربعين مدفعاً وحمولتها تبلغ خمسمائة وخمس وسبعون طناً.
٣- تاج بكس:- اسم مركب تبلغ حمولته حوالي سبعمائة وسبعة وثلاثين طناً.
٤- ليفربول:- اسم بارجة تحمل أربع وسبعين مدفعاً تزن حمولتها ألف وسبعمائة وخمسة عشر طناً.
٥- سلطانة:- اسم سفينة تحمل أربعة عشر مدفعاً وتبلغ حمولتها ثلاثمائة واثني عشر طناً وتعد من أهم القطع الحربية العمانية لدى السلطان سعيد.
٦- تاجه:- اسم مركب يحمل اثني عشر مدفعاً وحمولته تبلغ الفان وخمسة وعشرين طناً.
٧- نوهسري:- اسم مركب تزن حمولته مائة وتسع وسبعون طناً.

٨- البغلة:- أكثر أنواع المراكب استعمالاً في عمان والخليج وكانت تبلغ حمولته ما بين مائة وخمسون وأربعمائة طناً.
٩- البدنبوق:- من أكثر المراكب العمانية عراقة وتتراوح حمولته ما بين عشرين إلى مائة وخمسون طناً.
١٠- الجلبوت:- اسم مركب تأثر بالتصميم الأوربي فهو يشبه السفينة الأوربية المسماة (جولي-بوت)، ويذكر إن اسمه مشتق من اسم المركب البرتغالي (جالبوتا)، تبلغ حمولته ما بين أربعين وخمسة وسبعين طناً.
١١- البدن:- أكثر السفن العمانية شهرة ولا تزال تستخدم لحد الآن.
١٢- البتيل:- مركب مزود بالمدافع وقد تصل حمولته لغاية مائتي طن.
١٣- الزيمار:- من السفن الساحلية الكبيرة، وهو يشبه البتيل إلى حد ما.
١٤- الداو:- نوع يعد من اكبر السفن العمانية.
١٥- الغراب:- يعد من أقدم السفن الحربية العمانية وقد ورد ذكره على لسان العديد من الكتاب الأوربيين ولونه اسود يشبه الغراب وتجمع اغربة أو غربان.

وهناك العديد من السفن الصغيرة التي كان يضمها الأسطول العماني أيام السلطان سعيد ولكننا اكتفينا بذكر ما تقدم لأهميتها وعراقتها ودورها الكبير في رفد القوة البحرية العمانية وتقدمها.

لقد كان الأسطول العماني أيام السلطان سعيد كبيراً وقوياً، وقد احتل الدرجة الثانية في المنطقة بعد الأسطول البريطاني، إذ كانت له قواعده الرئيسه على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانئ بندر عباس وجاسك وشامل وسيات وكنجة وجزر قشم وهرمز ولاراك، كما كانت له قواعد على الساحل العماني فهي مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة. أما على الساحل الإفريقي فقواعده كانت مميا سا ولامو وكلوة ومركة ومقديشو وزنجبار، وقد أفادت المصادر التاريخية بأن السلطان سعيد كان يقضي فترة طويلة على ظهر السفن من اجل أن يتفقد المناطق الشاسعة من دولته عمان.

إننا لم نتمكن من الحصول على صورة دقيقة ومفصلة في المصادر التي اطلعنا عليها للأسطول العماني والقوة البحرية في عهد السلطان سعيد اذ إن المصادر والوثائق التاريخية لاتتفق على تشكيلة واحدة وثابتة للأسطول العماني يومذاك، بيد ان احد التجار الأمريكان ويدعى (روبرتس) و الذي زار زنجبار مطلع الثلاثينيات من القرن التاسع عشر قد أفاد لنا بصورة واضحة عن تشكيلات الأسطول العماني أيام السلطان سعيد خلال زيارته، اذ ذكر أن السلطان كان يملك اسطولاً وقوة بحرية تتألف مما يأتي:-

١- سفينة مزودة بـ٦٤ مدفعاً.
٢- ثلاث فرقاطات مزودة كل منها بـ ٣٦ مدفعاً.
٣- سفينتان مزودة كل منها بـ ١٤ مدفعاً.
٤- مائة مركب تقل عليها ستة الاف مقاتل.

كما ذكر لنا التاجر الأمريكي (روبرتس) والذى اصبح فيما بعد ضمن الوفد الامريكى المفاوض من اجل عقد المعاهدة الامريكية العمانية لعام ١٨٣٣ في تقريره بأن عمان في عهد السلطان سعيد كانت تملك اكبر أسطول تملكه جميع الدول الآسيوية والأفريقية الواقعة على سواحل المحيط الهندي[١٤]، كما أفاد لنا الباحث "جيان" مؤلف كتاب الوثائق التاريخية والجغرافية والتجارية في افريقيا أن قوة السلطان سعيد قد بلغت درجة كبيرة من الخطورة إذ إن قوة عمان البحرية في عهده كانت تتشكل من (٣٧) سفينة حربية وقوته العسكرية قد بلغت (٢٥٠) ألف جندي منهم (٥٠) آلف من جنود الأسطول[١٥].

وتذكر بعض المصادر أن الكابتن (هارث) احد العاملين في القوة البحرية العمانية زمن السلطان سعيد قد وضع كشفاً مفصلاً عام ١٨٣٤م بأعداد سفن الأسطول العماني أيام السلطان سعيد موضحاً أنواعها، الا اننا لم نعثر عليه بل أشار له رودولف سعيد في كتابه "سلطنة عمان خلال حكم

السيد سعيد بن سلطان" ذاكراً بأن الكشف كان يتضمن (١) بارجة حربية واحدة (٢) ثلاث فرقطات (٣) سفينة حربية (٤) فضلا عن عشرين سفينة تجارية عائدة للسلطان،(٥) وعلى عدد من البغلات البحرية والمراكب التي تحمل كل منها بين الأربعة والعشرة مدافع[١٦].

وقبل التطرق إلى مصادر قطع الأسطول العماني والقوة البحرية يجدر بنا الإشارة إلى كيفية صناعة السفن التي ضمها الأسطول العماني: كانت السفن العمانية تصنع حسب الطرق التقليدية قبل مجئ السفن الأوربية إلى منطقة الخليج العربي والتي كانت تفوقها من حيث التسلح والحمولة بسبب استخدامها للمسامير في بنائها، عند ذلك، أدرك العمانيون سر تفوقها على سفنهم فأقدموا على تقليد الأوربيين في استخدام المسامير لبناء السفن الأمر الذي جعلهم يبنون سفناً اكبر حجما وأكثر تسليحاً، وما أن حل القرن الثامن عشر حتى أصبحت القوة البحرية العمانية تضم سفناً من الطراز الأوربي ومزودة بالمدفعية الحديثة.

وعلى ضوء ذلك، أصبحت سفن الأسطول العماني وقوته البحرية أيام السلطان سعيد من الطراز الحديث كما سنلاحظ ذلك لدى الحديث عن مصادر الأسطول العماني. أن أهم مصادر تشكيلات الأسطول العماني خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر هي كما ياتي:-

أ- القيام بصناعة السفن بعد ان نشطت صناعتها.

ب- كثرت الموانئ العمانية التي كانت تبنى فيها السفن ،مثل ميناء مسقط وصحار وصور، فكانت أحواض بناء السفن في صور مثلاً تتمتع بشهرة كبيرة في المحيط الهندي بل أنها قد طورت في عهد السلطان سعيد بالذات من انشط مراكز بناء السفن في الجزيرة العربية كلها[١٧].

ج- ازدياد استيراد الأخشاب الصالحة لبناء السفن من الهند إلى الموانئ العمانية.

د- لم يكتف العمانيون بصناعة السفن المحلية بل أقدموا على شراء سفن أوربية من التجار وطورت السفن الأوربية العاملين في المياه الآسيوية.

هـ- لجأ العمانيون كذلك إلى بناء سفنهم في الموانئ الهندية ذات السمعة المتميزة مثل بومباي وسوارت.

وعلى ضوء ما تقدم، أصبح لدى عمان منذ منتصف القرن التاسع عشر اكبر أسطول حربي وتجاري في المنطقة الممتدة بين الخليج العربي وجزيرة مدغشقر، وكان له تواجد مهم في البحر الأحمر، وأن سفنه الكبيرة كانت تصل في رحلاتها إلى كلكتا وملاكا وبتافيا (جكارتا)[١٨].

ثانياً... مهام وواجبات الأسطول والقوة البحرية

يختلف الاسطول الحربي عن الأسطول التجاري أو أسطول صيد الأسماك أو أسطول صيد اللؤلؤ وغيرها، ولو ان الاسطول التجاري كثيراً ما كانت تحميه قطع الأسطول الحربي، أو غالباً ما يحمل الأسطول التجاري على متن سفنه قوة عسكرية رادعة كالمدافع من اجل حماية السلع التجارية، واحياناً يحمل الأسطول الحربي نفسه السلع التجارية من اجل حمايتها وحماية العلاقات التجارية للدول، ولا نعتقد بأن هناك اسطولاً تجارياً خالٍ تماماً من القوة البحرية العسكرية وقد قيل قديما عن هذا الوضع بأن التاجر في تلك الأيام التي نبحث فيها كان يحمل السلعة بيد والسلاح باليد الأخرى، والحالة هذه فان اغلب السفن في تلك الحقبة كانت تحقق هدفين في آن واحد احدهما حربي والأخر اقتصادي، كما عبر عن ذلك (مايلز)[١٩].

لقد حمل الأسطول والقوة البحرية العمانية في عهد السلطان سعيد على عاتقه تحقيق المهام الأساسية الاتية:-

١- التصدي بحزم لأساطيل الدول المعادية لعمان في عموم منطقة الخليج العربي والمحيط ا لهندي، بخاصة وقد تزامن عهد السلطان سعيد مع الصراع البريطاني الفرنسي في المنطقة، وذالك يعني إن الأسطول والقوة البحرية كانت تستخدم لحماية البلاد من الغزاة والمحتلين[٢٠].

٢- التصدي بقوة لحالات التنافر والصراع التي شهدتها منطقة الخليج العربي أيام السلطان سعيد، إذ دخلت عمان في صراع مع القوى المحلية كالوهابيين والقواسم[٢١].

٣- التصدي لأعمال القرصنة التي نشطت في عهد السلطان سعيد في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي والتي شاركت فيها قوى دولية ومحلية، الأمر الذي أدى إلى توقف الرحلات التجارية احياناً وعدم استتباب الأمن والاستقرار في عموم المنطقة ومنها المياه الإقليمية العمانية، وقد تعرضت سفينة السلطان سعيد الشخصية (كارولين) إلى الهجوم من قبل اولئك القراصنة، ومن المفيد الإشارة هنا الى ان السلطان سعيد كان يقود بنفسه الأسطول العماني من اجل التصدي لأعمال القرصنة، وقد أصيب بجرح خلال أحدى عمليات التصدي لهم[٢٢].

٤- ومن بين مهام الأسطول والقوة البحرية وواجباتها أيام السلطان سعيد هو استخدامه للقضاء على حالات التمرد التي تحصل ضمن دولة عمان سواء في الجزء الآسيوي أو الجزء الأفريقي، كما حدث ذلك حين تمرد حمود بن عزان على السلطان سعيد معلناً انتزاع ساحل الباطنة منه وجعله تحت قيادته[٢٣]، وكذلك الأمر حدث في الجزء الأفريقي من عمان وبالتحديد في جزيرة زنجبار و ممباسا فأقدم السلطان سعيد على استخدام أسطوله والقوة البحرية من اجل قمع المتمردين وعودة المنطقتين تحت سيطرته[٢٤].

٥- و تلبية طموحات السلطان سعيد في الفتح والتوسع وإضافة مناطق جديدة لدولته عمان كانت أيضاً من مهام الأسطول والقوة البحرية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولعل أوضح دليل على ذلك هو أقدام السلطان سعيد على ضم أجزاء كبرى من شرق أفريقيا إلى دولته عمان[٢٥]، كما حاول السلطان سعيد بواسطة أسطوله وقوته البحرية ان يضم البحرين إلى دولة عمان عام ١٨٢٨م، ولكنه أخفق في ذلك، وقد أصيب شخصياً بجرح خلال معركة الاقتحام للبحرين[٢٦].

كما انتهز السلطان سعيد فرصة اغتيال حاكم ظفار الشيخ محمد بن عقيل عام ١٨٣٩م ليبعث بقوته البحرية إلى المنطقة، وقد تمكن من الاستيلاء على ظفار وضمها إلى دولته عمان، ثم اضطر إلى سحب قواته العسكرية من ظفار بوقت قصير لحاجته الماسة لها في حملاته على شرق أفريقيا إلا أن منطقة ظفار بقيت تابعة إلى عمان منذ ذلك الوقت[٢٧].

٦- ومن واجبات الأسطول ومهام القوة البحرية كذلك حراسة الممتلكات الشاسعة لعمان والممتدة بين بندر عباس وزنجبار وكذلك حراسة عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والأفريقية مع عشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي[٢٨].

٧- ومن بين المهام للأسطول والقوة البحرية ايضا حماية السفن التجارية التي تبحر بين الهند وجنوب الجزيرة العربية وأفريقيا وذلك خدمة وحماية للعلاقات التجارية لعمان مع دول العالم[٢٩].

٨- كما كان الأسطول والقوة البحرية العمانية تقوم بخدمة العلاقات الدبلوماسية لعمان في الخارج، مثلما حصل ذلك مع السفينة (سلطانة) التي أقلت مبعوث السلطان سعيد وهو (احمد بن نعمان الكعبي) إلى نيويورك عام ١٨٤٠م وكانت أول سفينة عربية تلقي بمراسيها في ميناء في الولايات المتحدة الامريكية بعد أن عُقدت بين البلدين معاهدة عام ١٨٣٣م، وقد تمت مصادقة الرئيس الأمريكي (جاكسون) ومجلس الشيوخ على المعاهدة عام ١٨٣٤م، بعد ذلك قدم المفاوض الأمريكي (روبرتس) إلى مسقط من اجل تبادل الوثائق الخاصة بالمعاهدة وذلك على ظهر السفينة الحربية[٣٠]، كما إن السفينة الحربية (كارولين) المزودة بأربعين مدفعاً قد زارت مرسيليا عام ١٨٤٩م زيارة دبلوماسية حاملة معها البضائع الشرقية من اجل توطيد العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا[٣١].

يمكن القول ان المهام والواجبات الكبيرة التي أداها الأسطول العماني والقوة البحرية في عهد السلطان سعيد تعود الى كفاءة الأسطول العماني وقدراته المتميزة التي مكنته من إنجاز المهام والواجبات بنجاح كبير.

لذا، وجب علينا التعرف على العوامل والأسباب التي كانت تقف وراء نجاح الأسطول العماني والقوة البحرية وهي بإيجاز كما ياتي:-

أ- التطور الكبير الذي حصل لعمان في حقل العلوم الملاحية خلال عهد السلطان سعيد، وهي في معظمها علوم عمانية عربية في الأصل، إذ مخر العمانيون المحيط الهندي منذ قرون قديمة واكتشفوا معظم السواحل الآسيوية والأفريقية قبل الأوربيين، وقد ألف أساتذة العلوم البحرية العمانية العديد من الكتب في علوم الملاحة ومن بينهم احمد بن ماجد وسليمان المهري والتي ظلت دليل عمل لكل من اشتغل في قيادة السفن(٣٢).

ب- استقدام السلطان سعيد خلال عهده للخبراء في الميادين العلمية والبحرية من بريطانيا وفرنسا وهولندا والبرتغال من اجل تفقد السفن المصنوعة في ترسانات صناعة السفن في الهند.

ج- الاتصالات العلمية البحرية بين عمان والأمارات الهندية الساحلية والتعاون الوثيق الذي كان يجري بين الجانبين من اجل بناء السفن الجيدة.

د- اعدت موانئ عمانية مهيأة لاستقبال السفن من الدول الصديقة والمرتبطة مع عمان تجارياً ودبلوماسياً ولكافة الأحجام والأنواع، وقد أشار الى ذلك قادة الأساطيل البريطانية والأمريكية والهولندية والفرنسية والألمانية وقناصل تلك الدول وأكدوا توافر التسهيلات الكبيرة التي كانت تقدمها سلطات الموانئ العمانية إلى تلك الأساطيل وقد أثنوا جميعاً على ما لاقوه من مساعدة وكرم ضيافة من لدن السلطان سعيد وأولاده وممثليه(٣٣).

ومن اجل إعطاء صورة صادقة عن حجم الأساطيل الأجنبية التي كانت تزور موانئ عمان أيام السلطان سعيد نذكر فقط انموذج إعداد سفن الولايات المتحدة الأمريكية التي زارت ميناء زنجبار عام ٨٣٤ م، لوحده قد بلغت ثلاثين سفينة(٣٤).

لم تكن قطع الأسطول العماني وقوته البحرية خلال عهد السلطان سعيد لم تكن ذاتها في كل مهمة أو واجب، وإنما كانت تختلف في أنواعها وأحجامها وأعدادها من مهمة إلى أخرى، أي أن الأسطول كانت تتشكل سفنه حسب المهمة الموكل إليها وكذلك الأمر مع طاقم الأسطول ،ولذلك نرى أن صناعة السفن تختلف هي الأخرى من سفينة لثانية حسب المهمة المعدة لها وكانت أحواض السفن للبناء تختلف هي الأخرى حسب إنتاجها للسفن لأن هناك سفناً معدة للشحن أو التجارة أو عبور المحيطات أو استخراج اللؤلؤ أو القتال، وهناك من السفن ما تعد للأغراض اخرى مثل التجارة والقتال في ان واحد ,كما ان هناك سفناً بحرية حربية ذات مهام مشتركة كالطوارئ والتصدي للقراصنة أو الدخول في معارك بحرية معادية، كما أن هناك سفناً تعد لغرض الانزالات البحرية على السواحل وضرب القلاع والتحصنات الساحلية وإمداد السفن البحرية وغيرها.

كذلك الأمر مع طاقم السفينة اذ يختلف طاقم البحارة السفن وسدنتها حسب مهامها ووفق حجمها وتسليحها.

فمثلاً السفن العابرة للمحيطات كان طاقمها يتألف خلال عهد السلطان سعيد من ٢٥-٤٠ بحاراً ومن بين هؤلاء النواخذة أو (الربان) ثم المعلم أو (الملاح) ثم الكراي أي (الكاتب) ثم الساهيانج أي (مساعد الربان) والسكاني وهو(موجه الدفة)أو السكان ثم البانيلي وهو(مراقب القوارب)، ويلاحظ إن اغلب التسميات لطاقم السفن أما أن تكون فارسية أو هندية ما عدا تسمية المعلم التي أطلقها العمانيون على امهر الملاحين في قيادة السفينة(٣٥).

كان الأسطول العماني والقوة البحرية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كان يحسب له الحساب من قبل جميع القوى والأساطيل الموجودة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي وحتى الأسطول البريطاني الذي كان يحتل المرتبة الأولى في المنطقة كان قادته يخشون لو قرر السلطان سعيد مرة أن يفرض سيادته على المحيط الهندي والخليج العربي وواجه الاسطول البريطاني، فأن بريطانيا ستجد نفسها –ذلك الوقت- في وضع لا تحسد عليه لأنها كانت تدرك صعوبة مواجهة الأسطول العماني وقوته البحرية ناهيك عن الانتصار عليه ودحره(٣٦).

وقد ذكر لنا (جيان) ذلك صراحة حين أكد قلق الحكومة البريطانية من تعاظم القوة البحرية لدى السلطان سعيد في المنطقة(٣٧).

والواقع، أن ذلك التخوف والقلق البريطاني دفع بها إلى التقرب من السلطان سعيد وعقد معاهدة مع عمان عام ١٨٣٩م أدت إلى متانة العلاقة بين الجانبين وأثمرت عن التعاون الوثيق والتنسيق بينهما في العديد من المعارك التي خاضوها معاً ضد التحالفات المعادية لهما في المنطقة(٣٨).

ويمكن استخلاص ما تقدم بما ياتي:

اولاً:- تطور الأسطول والقوة البحرية في عمان كثيرا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر اذ عدّ من اكبر الأساطيل في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ثانياً:- كان للسلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٤م-١٨٥٦م) أثرٌ كبير فيما وصل إليه الأسطول والقوة البحرية من تعاظم وقوة، وذلك بسبب شغفه للبحر وتطلعه لضم العديد من المناطق إلى دولته عمان فضلا عن شجاعته في مواجهة الأعداء والمتمردين على سلطته.

ثالثاً:- حصل تطور نوعي كبير للأسطول العماني والقوة البحرية أيام السلطان سعيد حين رفدت أحواض بناء السفن المعروفة بتميزها بصناعة السفن في كل من عمان والهند الأسطول العماني بأنواع متقدمة من السفن الحربية الكبيرة فضلاً عن شراء السفن الأوربية وجلب الخبراء الأوربيين لمتابعة صناعة السفن العمانية في كل من أحواض الهند وعمان والتي كانت تنتج سفناً كبيرة ذات مواصفات أوربية، الأمر الذي جعل الأسطول والقوة البحرية العمانية ترتقي إلى مستوى المهام والواجبات المعدة لها كالفتح ومواجهة الأعداء أو التجارة وحماية العلاقات التجارية لعمان أو استرداد المناطق المستحوذ عليها من قبل المتمردين.

الهوامش:-

(١) مجموعة باحثين,عمان في التاريخ ,مجموعة البحوث التي ألقيت في ندوة عمان في التاريخ المنعقدة في مسقط عام ١٩٩٤م، سلطنة عمان ودار أميل للنشر المحدودة، لندن, ١٩٩٥م،ص ص٣٣٤ -٣٣٥.

(٢) دونالد هولي، عمان ونهضتها الحديثة،ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي, مؤسسة ستايسي الدولية، لندن، ١٩٧٧م، ص٤٧.

(٣) Coupland, Reast Africa and it's Invaders, London,1968, P222; هولي، مصدر سابق، ص٤٨.حتى لقي السلطان سعيد حتفه وهو في عرض البحر

(٤) المصدر نفسه,ص ٤٨

(٥) جريجور يف، سيرجي، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،مجلة الوثيقة، البحرين، العدد (٤١)، السنة ٢٠٠٢م، ص١٥٤.

(٦) سالم بن حمود بن شامي السيابي، عمان عبر التاريخ، سلطنة عمان، الجزء الثاني، ١٩٨٠م، ص١٥٣.

(٧) مجموعة باحثين، مصدرسابق، ص٣٢٩.

(٨) مايلز، س.ب، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الرابعة، عمان، ١٩٩٠م، ص١٤٧.

(٩) لاندن، روبرت جيران، عمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الثالثة، عمان، ١٩٨٣م، ص ص٥٠-٥٢.

(١٠)مجموعة باحثين، مصدرسابق، ص٣٣٢.

(١١) Amillton, Anew Account of the East India1688_1723,vo1,1p45 نقلا عن إسماعيل نوري الربيعي، نشاط عمان البحري خلال القرن الثامن عشر، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد(٢٤)، السنة ١٩٩٤م، ص٧٩.

(١٢)مجموعة باحثين، مصدرسابق، ص٣٣٢.

(١٣)ان تشكيلات الأسطول العماني زمن السلطان سعيد قد أخذت من المصادر التالية:-

أ- وندل فيليبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٤، ١٩٩٤م، عمان، ص ص١١٠-١١٣.
ب- رودولف سعيد روت، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١م-١٨٥٦م، ترجمة عبد المجيد حسين القيسي، البصرة، ١٩٨٣م، ص١٨٨.
ج- مجموعة باحثين، مصدرسابق،ص ص٣٣٤-٣٥٠.
د- عمان في أمجادها البحرية، سلسلة تراثنا، العدد الثامن، الطبعة الثالثة، عمان، ١٩٩٤م،ص ص٨٩-٩٦.

(١٤) جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الأمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م، ص٨٣.

(١٥) Guillain, M, Documents Sur L'historir, Lageographie, et le Commerce del'Afrique, Tomell, Pans, 1856, PP.253-254.
قوة السلطان العسكرية وصل تعداد جنده إلى ربع مليون جندي في ذلك الوقت.

(١٦) Selection from the Records of Bombay Government, Vol.XXIV, Bombay, 1856, P.2826;
رودولف سعيد روت , المصدر السابق, ص١٨٨.

(١٧) عمان في أمجادها البحرية، مصدر سابق، ص٩٥.

(١٨) جون غوردن لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، بيروت، ١٩٧٠، الجزء الأول، ص١٦٤.

(١٩) مايلز، مصدر سابق، ص٢٤٣.

(٢٠) بن حبيب، مال الله بن علي، ملامح من تاريخ عمان، ترجمة محمد محمد كامل، عمان، بدون تاريخ، ص٦٢٥.
ولسن، ارنولد، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، عمان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، ص١٧١.

(٢١) B.P.S.P, No 8320-26 dated 7\9\1809, from Governer of Bombay to Iamam of Mus Cat.

(٢٢) فيليبس، مصدر سابق، ص ص١١٣-١١٦.

(٢٣) Bombay Political Proceedings, No.27 dated 7\7\1830, from Assokin Assure lance of Mus cut to the Persian Secretary.

(٢٤) B.P.P.F, No. 7243, Dated 29\10\1824 from Imam of Mus Cut to Coverner of Bombay; Coupland OP.Cit, P222.

(٢٥) فيليبس، مصدر سابق، ص١٢٥؛ بن حبيب، مصدر سابق، ص٢٥.

(٢٦) Badger, Gerorge percy, History of the Imams and Seyyids of Oman By Salil Razik from A.D. 661-1856, Translated from the Original Arabic and Edited with Appendices and an introduction Containing the History, London, 1871, P.347.

(٢٧) مايلز، مصدر سابق، ص٢٧٢،رودولف سعيد روث، مصدرسابق، ص٨٧.

(٢٨) مجموعة باحثين، مصدرسابق، ص٣٣٥.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ص٣٣٥-٣٣٦.

(٣٠) B.P.P No. 211, Dated 18/11/1885 from Resident in the Persain Gulf, to the Coverner in Council.

(٣١) عمان في أمجادها البحرية، مصدر سابق، ص٦٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ص٧٧-٨١.

(٣٣) Parsons, Travil in Asia and Africa, London, 1808, P220; لاندن، مصدرسابق، ص٧٨.
(٣٤) مجموعة باحثين، مصدرسابق، ص ص٣٣٦-٣٣٧.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٣٥١.
(٣٦)رودولف سعيد روث، مصدرسابق، ص١٨٨.
(٣٧) Guillain, M, OP.Cit, PP.242-254.
(٣٨) Aitchison, Treaties, Engagement and Sanads Telating to India and Neighbouring Counteries, Vol,XI, Delhi, 1833, P.284.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع المحلية والعربية والمعربة:-

١- بن حبيب، مال الله بن علي، ملامح من تاريخ عمان، ترجمة محمد محمد كامل، عمان، بدون تاريخ.
٢- روث، رودولف سعيد، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان، ١٧٩١م-١٨٥٦م، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، البصرة، ١٩٨٣م.
٣- السيابي، سالم بن حمود بن شامس، عمان عبر التاريخ، عمان، الجزء الثاني، ١٩٨٠م.
٤- عمان في أمجادها البحرية، سلسلة تراثنا، العدد الثامن، الطبعة الثالثة، عمان، ١٩٩٤م.
٥- عمان في التاريخ، مجموعة البحوث التي ألقيت في ندوة عمان في التاريخ المنعقدة في مسقط عام ١٩٩٤م،سلطنة عمان ودار أميل للنشر المحدودة، لندن، ١٩٩٥م.
٦- فيليبس، وندل، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الرابعة، عمان، ١٩٩٤.
٧- قاسم، جمال زكريا، دراسة لتاريخ الأمارات العربية ١٨٤٠م-١٩١٤م، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.
٨- لاندن، روبرت جيران، عمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الثالثة، عمان، ١٩٨٣م.
٩- لوريمر، جون غوردون، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، بيروت، الجزء الأول، ١٩٧٠م.
١٠-مايلز، س.ب، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الرابعة، عمان، ١٩٩٠م.
١١-هولي، دونالد، عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة ستايس الدولية، لندن، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي، ١٩٧٧م.

ب- المصادر والمراجع الأجنبية:

١- الوثائق:

1- Aitchison, Treaties, Enagagment and Sanads, Relating to India and Neighboring Countries, VOL,XI, Delhi, 1833.
2- Bombay Political Proceedings, Bombay, 1830, No 27.
3- B.P.P.S, 1824, No 7243.
4- B.P.S.P, No 8320, Bombay, 1809.
5- Selections from the Records of Bombay Government, VOL.XXIV, Bombay, 1856.

٢- الكتب:

1- Amillton, Anew Account of the East India 1688-1723, VOL.1.
2- Badger, George Percy, History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil Razik from A.D. 661-1856. Translated from the Original Arabic and Edited with Appendices and an Introduction Containing the History, London, 1871.
3- Coupland, R, East Africa and It's Invaders, London, 1968.
4- Guillain, M, Documents Sur L'historire, Layeographie, et le Commerce del Afrique, Tome ll, Paries, 1856.
5- Parsons, Travel in Asia and Africa, London, 1808.

ج- الدوريات:

١- جريجو ريف، سيرجي، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد (٤١)، السنة (٢٠٠٢م).
٢- الربيعي، إسماعيل نوري، نشاط عمان البحري خلال القرن الثامن عشر، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد (٢٤)، السنة (١٩٩٤م).

The fleet and the navy in Oman during the 1st half of 19th C

Dr. Fadil Mohammed
College of Education for Women - Baghdad University

Abstract:

Development and progress of the fleet and the navy in Oman during the reign of Sultan Said bin sultan from 1804 to 1856.

It had second level in Arab Gulf and Indian Ocean during the first half of nineteenth century. The fleet of Oman in this time became after British fleet.

Several reasons were behind the development of Omani fleet

- First : The aim of Sultan Said was to built a large navy yard in Arab Gulf and Indian Ocean to encourage him -to made many ships factories.
- Second: Arab Gulf and Indian Ocean within the reign of Sultan Said wittinsed the confilicts and wars between different forces it drived Sultan Said to built agood and strong navy.
- Third The main aim of Oman during the reign of Sultan Said was to protect the trade of Oman and its trad relations.
- Fourth: sultan said was desire to open some arias and he wanted to add many parts to his country as happened as with Africa East (zangibar).

Moreover this research consists of an introduction two sections and conclusion depending on different documents and sources in Arabic and English.